لنسبة الى جهم ثم اعلن به واظهره بشر المريسي واصحابه في اوائل المائة الثالثة لانهم تمكنوا
من بعض ملوك بني العباس وصار لهم عنده جاه ومنزلة فقويت بذلك شوكة الجهمية وكثر
شرهم وعظم على الاسلام واهله كيدهم وضررهم حتى امتحنوا من لم يوافقهم على بدعتهم وضلالتهم
فشردوا بعض اهل السنة عن اوطانهم وحبسوا وضربوا وقتلوا على هذا المذهب وجرى على امام
السنة الامام المبجل احمد ابن حنبل من ذلك اشد امتحان واعظم بلية وضرب حتى اغشي عليه
من الضرب فاذا جادله منهم مجادل قال ائتوني بشيء من كلام الله او كلام رسوله حتى اجيبكم اليه فيابون
ويعرضون ويرجعون الى شبه الفلاسفة واليونان وهو مع ذلك يكشف لهم الشبه ويبين بطلانها بادلة الكتاب
والسنة واجماع الامة والادلة العقلية الصريحة وصنف في ذلك كتابه المعروف في الرد على الزنادقة و
الجهمية وهو كتاب جليل لا يستغني عنه طالب العلم والمقصود ان علماء الامة انكروا مذهب الجهمية
اشد الانكار وصرحوا بانه من مذاهب الضلال والكفار ولم يخالف في ذلك احد منهم وقد جمع الامام
اللالكائي جملة من كلام السلف في تكفيرهم وتضليلهم في كتابه الذي سماه كاشف الغمة في معتقد
اهل السنة ومختصر كتابه موجود عندكم في الساحل قدم به عبد الله ابن معيذر عام اثنين وسبعين
وهو وقف على طلبة العلم الشريف اذا عرفت هذا فاهل السنة متفقون في كل مصر وعصر على ان الله موصوف
بصفات الكمال ونعوت الجلال التي جاء بها الكتاب والسنة يثبتون لله ما اثبته لنفسه المقدسة
وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تشبيه
لا يبتدعون لله وصفا لم يرد به كتاب ولا سنة فان الله تعالى اعظم واجل واكبر في صدور اولياءه المؤمنين
من ان يتجاسروا على وصفه ونعته بمجرد عقولهم وآرائهم وخيالات اوهامهم بل هم منتهون في ذلك
الى حيث انتهى بهم الكتاب والسنة لا يتجاوزون ذلك بزيادة على ما وصف الرب به نفسه او وصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعطلون ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الكمال ونعوت الجلال
وينكرون تعطيل معنى الاستوى وتفسيره بالاستيلاء ويتبرءون من مذهب من قال ذلك وعطل
الصفات من الجهمية واتباعهم وقد وقع في هذا كثير ممن ينتسب الى ابي الحسن الاشعري وظنه
بعض الناس من مذهب اهل السنة والجماعة وسبب ذلك هو الجهل بالمقالات والمذاهب وما كان
عليه السلف قال حذيفة رضي الله عنه كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير
وكنت اسأله عن الشر مخافة الوقوع فيه فالواجب على من له رغبة في الخير وطلب العلم ان يبحث عن
مذاهب السلف واقوالهم في هذا الاصل العظيم الذي قد يكفر الانسان بالغلط فيه ويعرف مذاهب الناس
في مثل ذلك وان يطلب العلم من معدنه ومشكاته وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من
الكتاب والحكمة وما كان عليه سلف الامة قال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في
صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء
قليلا ما تذكرون وقال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون فاذا وفق
العبد لهذا وبحث عن تفاسير السلف وائمة الهدى ورزق مع ذلك معلما من اهل السنة فقد
احتضنته السعادة ونزلت به اسباب التوفيق والسيادة وان كان نظر العبد وميله الى كلام اليونان
واهل المنطق والكلام ومشائخه من اهل البدعة والجدل فقد احتوشته اسباب الشقاوة ونزلت
وحلت قريبا من داره موجبات الطرد عن مائدة الرب وكتابه ومن عدم العلم فليبتهل الى معلم
ابراهيم في ان يهديه الصراط المستقيم وليتفطن لهذا الدعاء اذا دعا به في صلاته وليعرف
شدة فقره اليه وحاجته وليعلم ان من جحد لفظ الاستوى ولم يؤمن به فهو ايضا كافر
وكفره اغلظ وافحش من كفر من قبله وهو ممن كفر بالقرآن كله ولا نعلم احدا قال هذا القول ممن يدعي الاسلام
ويؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والجهمي يوافق على كفر هذا ولا يشكل كفر هذا على من عرف
شيئا من الاسلام قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده اي بالقرآن واما قول الرجل
استوى من غير مماسة للعرش فقد قدمنا ان مذهب السلف وائمة الاسلام عدم الزيادة و
المجاوزة لما في الكتاب والسنة وانهم يقفون وينتهون حيث وقف الكتاب والسنة وحيث انتهيا
قال الامام احمد رحمة الله عليه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله

انتهى

انتهى وذلك لعلمهم بالله وعظمته في صدورهم وشدة هيبتهم له وعظيم جلاله ولفظ المماسة
لفظ مخترع مبتدع لم يقله احد ممن يقتدى به ويتبع وان اريد به نفي ما دلت عليه النصوص من
الاستوى والعلو والارتفاع والفوقية فهو قول باطل ضال قائله مخالف للكتاب والسنة ولاجماع سلف
الامة مكابر للعقول الصحيحة والنصوص الصريحة وهو جهمي لا ريب من جنس ما قبله وان لم يرد هذا
المعنى بل اثبت العلو والفوقية والارتفاع الذي دل عليه لفظ الاستوى فيقال فيه هو مبتدع ضال قال في الصفات
قولا مشتبها موهما فهذا اللفظ لا يجوز نفيه ولا اثباته والواجب في هذا الباب متابعة الكتاب و
السنة والتعبير بالعبارات السلفية السنية الايمانية وترك المتشابه واما من يقول اذا قلتم ان الله
على العرش استوى فاخبروني قبل ان يخلق العرش كيف كان واين كان وفي اي مكان وجوابه
ان يقال اما كيف كان فقد اجاب عنها امام دار الهجرة الذي تضرب اليه آباط الابل في طلب العلم النبوي والميراث
المحمدي قال له السائل يا ابا عبد الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال مالك الاستوى معلوم والكيف
مجهول والسؤال عنه بدعة وامر بالسائل فاخرج عنه فاخبر رحمه الله ان الكيف غير معلوم لانه لا يعلم
الا بعلم كيفية الذات وقد حجب العباد عن معرفة ذلك لكمال عظمته وعظيم جلاله وعقول العباد
لا يمكنها ادراك ذلك ولا تحمله وانما امروا بالنظر والتفكر فيما خلق وقدر وانما يقال كيف لمن لم يكن ثم
كان فاما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو وكيف يعرف قدر من لم يبدئ
ولم يمت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حد او منتهى يعرفه عارف او يحد قدره واصف لانه الحق
المبين لا احق احق منه ولا شيء ابين منه والعقول عاجزة قاصرة عن تحقيق صفة اصغر خلقه كالبعوضة
وهو لا يكاد يرى ومع ذلك يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر فيما يتقلب به ويحتال من عقله اخفى
واعضل مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وقد قال بعضهم مخاطبا للزمخشري منكرا عليه نفي الصفات شعرا

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
أنت لا تفهم اياك ولا ... من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري خفايا ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
انت اكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك أم كيف تبول
أين منك الروح في جوهرها ... كيف تسري فيك أم كيف تجول
فاذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول

وبالجملة فهذا السؤال سؤال مبتدع جاهل بربه وكيف يقول اذا قلتم ان الله تعالى على العرش استوى
وهو يسمع اثبات الاستوى في سبعة مواضع من القرآن واما قوله اين كان قبل ان يخلق العرش
فهذه المسالة ليس فيها تكييف ولا ابتداع وقد خرج الترمذي جوابها مرفوعا من حديث ابي رزين
العقيلي انه قال يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق قال في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء
انتهى الحديث فهذا جواب مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قد قبله الحفاظ وصححوه والعماء هو
السحاب الكثيف قال يزيد ابن هارون امام اهل اليمن من اكابر الطبقة الثالثة من طبقات التابعين
ومن ساداتهم معناه ليس معه شيء واما قول السائل وفي زعم هذا القائل انه بذلك ينبغي حاجة الرب
الى العرش فيقال ليس في اثبات الاستوى على العرش ما يوجب الحاجة اليه او فقر الرب تعالى وتقدس الى شيء من
خلقه فانه سبحانه هو الغني بذاته عما سواه وغناه من لوازم ذاته والمخلوقات باسرها العرش فما
دونه فقيرة محتاجة اليه تعالى في ايجادها وفي قيامها لانه لا قيام لها الا بامره قال تعالى ومن آياته
ان تقوم السماء والارض بامره والسماء اسم لما علا وارتفع فهو اسم جنس يقع على العرش قال تعالى ءامنتم من
في السماء الاية وبحوله وقوته حمل العرش وحملة العرش وهو الذي يمسك السموات والارض ان تزولا
الاية وجميع المخلوقات مشتركون في الفقر والحاجة الى باريهم وفاطرهم وقد قرر سبحانه كمال غناه و
فقر العباد اليه في مواضع من كتابه واستدل بكمال غناه المستلزم لاحديته في الرد على النصارى وابطال
ما قالوه من الافك العظيم والشرك الوخيم قال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني الاية وكمال غناه
يستلزم نفي الصاحبة والولد ونفي الحاجة الى جميع المخلوقات ولا يظن احد يعرف ربه او شيئا من عظمته

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1